علم الاجتماع الجنائي

Criminologie

— ٢ —

انتهى بنا الكلام في المقال السابق عند البحث في هل الانسان مسيرٌ أم مخيّر؟ وهل هو مجبول على الخير أم مفطور على الشر؟ فاذا كان هو خيّر بفطرته فلماذا تقع الجرائم؟ وترتكب الآثام — ولماذا تخضب الارض بدم الانسان من يد وظلم أخيه الانسان؟ واذا كان نزاعاً ومفطوراً على الشر بوجود أسباب الظلم وعناصر الاجرام في كينونته — إذن فهو مسيَّر بقوة قاهرة خاضع لاحكام « القضاء والقدر » واذن فبأي حق يوقع الانسان العقوبة على أخيه وهذه حاله؟

وما دام الانسان مسيراً بيد القدر المحتوم ولا ارادة ولا قدرة له على دفع ما تجري به أحكام القضاء ولا قبل له على تحويل هذا النظام المحكم أو تغيير احكامه وما جرت به المقادير فلماذا إذن كل هذا المجهود الذي يبذله الانسان وتصرفه الحكومات في تشييد السجون وتوقيع العقوبة على كل من ارتكب وزرا او اتى امراً إدا؟

حيال ذلك نحن نستعرض آراء بعض الفلاسفة واصحاب المذاهب وذوي الرأي نستأنس بها في حل هذه المعضلة فنقول ان من هؤلاء من يقطع العلاقة بين الاسباب الظاهرة ومسبباتها — بل قالوا :

ان الله يصدر وجود المسبب عند وجود السبب ، فلا يقال ان الأكل مثلا هو الذي يحدث الشبع — بل يقال : ان الشبع شيء يحدثه الله عند الأكل

يقول العلامة الغزالي في ذلك . . . « اذا ادنيت النار من القطن فاحترق — ان النار جماد لا فعل له — فما هو الدليل على انها الفاعل في الاحتراق؟ ليس لهم دليل الا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقاة النار ، والمشاهدة تدل على الحصول عنده لا الحصول به وانه لا علة سواه .

ومنهم الصوفيون وهم القائلون بوحدة الوجود — المعبرون بالشهود اولا والفناء اخيرا »

ثم القدرية او المعتزلة وهم « متكلمون قالوا : ان الخالق وضع للكون نظاماً تنطبق أصوله على مصالح المخلوقين قوى وقدراً — تصدر عنها آثارها بطريق التوليد والسببية — او بطريق الارادة والاختيار » وهم من هذه الناحية لا يخالفون الفلاسفة في قولهم بلزوم الآثار لمصادرها وتأثير قدر المخلوقين في افعالهم — باقي الى الآن منهم الشيعة الامامية والزيدية .

انما المعنا بلمع من هذه الآراء لنظهر القارىء على ما جادت به قرائح القدماء من اصحاب المذاهب حيال هذا الاشكال مرجئين رأي علماء العصر الحاضر إلى مقام آخر اذ انه سيجيء بمناسبة .

على حين اننا نعلم فوق كل هذا ان الشرائع السماوية تحتم العقوبة وتوجب القصاص وتأمر بالشدة في ردع المجرمين وصد الآثمين عن التمادي في الاضرار بالغير الا شريعة سيدنا عيسى عليه السلام — شريعة التسامح الى ابعد حد وهاك اساس هذه الشرائع السموية الثلاث :

(١) الشريعة المحمدية — ولكم في القصاص حياة يا اولي الالباب

(٢) « الموسوية — عين بعين وسن بسن .

(٣) « المسيحية — من لطمك على خدك الايمن فحول له الايسر

اما وقد فرغنا من سرد آراء بعض الفلاسفة والصوفيين والمتكلمين وما جادت به الكتب المنزلة من حيث الاسباب ومسبباتها والعلل ومعلولاتها من حيث القصاص من المجرمين والمذنبين بعد هذا نعود الى الكلام على علم الاجتماع الجنائي فنقول :

انه حديث الظهور في جو العلوم — كما ان علم النفس الاجتماعي احدث منه ظهوراً

اما الاول فمظهر علمي جديد — عبارة عن فلسفة التاريخ في ثوب علمي محدث حاكه له العلامة « اوجيست كونت »

واما الثاني فنتيجة طبيعية لازمة لرقي علم النفس الشخصي — وعلم الاجتماع الجنائي وهو يبحث في (١) درس حياة الاجرام وتاريخه — ماضياً وحاضراً — وهذه تنقسم الى (١) عوامل طبيعية — وهي العوامل التي ليس في مقدور المخلوق ان يمحوها وانما في وسعه ان يخفف من حدتها ويلطف من شدتها نوعاً ما وضربوا لذلك مثلا فقالوا ان ثمن القمح والخبز في الارض المجدبة اذا تحسنت حالة طرق المواصلات وسبل

التجارة والنقل بين هذه وبين بلد آخر غني بزراعته — فانما يتغير ويتبدل السعر وتتحسن الحال وتتبدل من شأن الى آخر

حسن حسين

زواج ملك من بائعة تفاح

معربة بيعض تصرف

بقلم حضرة الاستاذ صاحب التوقيع

التقط ملك من الملوك صبية من الطريق عازما على أن يجعلها جارية له ولم تمض سنون قليلة بعد ذلك الا وصار هو عبدا لها . ذلك الملك هو ليوبولد ملك البلجيك السابق وتلك الصبية هي كارولين لاكروا الباريزية . وكان ليوبولد منذ نشأته يحتقر النساء بدون استثناء حتى زوجته وبناته وعُرف بسمة الحيلة وشدة الطمع وكان همّه الوحيد في العالم جمع المال فكان يقول ان الحياة هي المال ليس الا

وكانت في باريز صبية جميلة والدها حمّال في احدى محطات السكة الحديدية وكانت تساعده على سد نفقات معيشة عائلتها بالعمل كفتاة لا تزيد أجرتها الاسبوعية عن بضعة فرنكات . ولما شبّت كارولين وعرفت أن لجمالها قيمة تجارية صممت على أن لا تبيعه رخيصا فأخذت تحتقر العمل اليدوي وخرجت من المكان الذي كانت تشتغل فيه كصانعة وأخذت تبيع الفاكهة في شوارع باريس . وكانت الابتسامة لا تفارق فمها والبريق لا يبرح عينيها ومن حظها في ذلك الوقت أن رآها ليوبولد يوما من الايام وعلق بها

وهذا الملك الذي عاش لجمع المال وطمعت أميرات أوربا في الاقتران به رأى شيئا في تلك الصبية الفقيرة جعله يغيّر أفكاره على نوع ما عن النساء جميعا ويأخذها جارية له . ربما توهم لبخله ان كارولين الفقيرة لا تكلفه كثيرا لأنها لم تمتلك في حياتها مائة فرنك ولذلك رأى ليوبولد الذي بلغ دخله في العام مليونا من الجنيهات